

كورال الحزب الشيوعي .. قصة حياة

الهادي جمعه؛ أعمال الكورال حقت جماهيريتها في وجدان الشعب

الراحل مصطفى سيد أحمد تبنى بأشعار محبوب شريف

شريط (٩٠) تجربة جديرة بالتوثيق والدراسة من وحشة السجن وعمات الأسوار، من فيوض الأمل والنضال وفي ساحات الديمقراطية بساتينها تفرع، وجداناً بكامل الأنافة، وإضافة لآرث السوادنيين في تاريخهم الموسيقي الحديث والسياسي على حد سواء. ولأن لكورال الحزب الشيوعي «قصة حياة» تجدد جيلاً إثر جيل، كان لزاماً علينا أن نوثق لهذه الحياة الجديدة. كورال الحزب الشيوعي مع الموسيقي وشاهد التجربة في مخاضها الباكر .. الفنان الهادي جمعه جابر و «قصة حياة».

* تزامنت بداياتك الموسيقية مع بدايات الكورال داخل أسوار المعتقل (!) كيف كانت هذه التجربة؟

اعتقلنا في مايو ١٩٨١م وجئت إلى قسم الشرقيات بسجن كوبر، ووجدت المعتقلين يمارسون مختلف الأنشطة الثقافية والرياضية وفقاً لما تتحده

مساحة المعتقل. وجدت بعض المحنن الذين كانوا يعملون على قصائد نضالية لمحبوب شريف وغيره من الشعراء، وكان هؤلاء المحننين من المعتقلين واذكر منهم الراحل السر الناطق وسعودي دراج. كذلك وجدت بعض الأعمال التي لحت في فترات سابقة بواسطة محمد وردى، كذلك وجدنا كامل الشاعر هاشم صديق (دفتر الأزمان). عقب ذلك تم ترجلي لقسم المديرية الذي كان أحسن حالاً من حيث مساحة الحرة

بالنسبة للمعتقلين- كان هنالك تلفزيون ومكتبة وبعض الصحف.

وكان المعتقلون يقيمون المحاضرات والأنشطة الرياضية والثقافية التي كانت لها علاقة بالاحتفالات بأعياد الفطر والأضحى والإستقلال وأكتوبر ويوليو ويوم المرأة.. وفي كل مناسبة كان النشاط المقدم ذا علاقة بالمناسبة.

وفي تلك الفترة تعرفت على عدد أكبر من الإنشيد التي كان يرددوها المعتقلون، ففي وداع المعتقل عند إطلاق سراحه كانوا يرددون (السجن ليس لنا / نحن الأباة/ السجن للمجرمين الطغاة). وهي لشاعر شيوعي من العراق كذلك (مليون سلام باشعبنا) كانت تقدم في وداع أو استقبال المعتقل وأناشيد أكتوبر (أكتوبر ديناميتا) وهي من الحان وردى وهنالك أيضاً أشعار محبوب

شريف (وأحلامي أنا وأحلامي) و (مرحب بالأعياد).. وفي ذلك (الجو) إكتشفت نفسي بمعنى عرفت انه بإمكانني أن أتعامل مع الموسيقى بصورة مختلفة في المعتقل، وعادة عندما يسال شخص عن بداياته الفنية يسقول المرسية: (عبر الأناشيد، بمعنى تلك البدايات التقليدية لكن أن تبدأ بتلحين الأغاني والتي اكتشفت - فيما بعد- بأنها «جيدة»، وأذكر في تلك الفترة أنني لحت أغنية لمحبوب شريف قامت فرقة ساورا بإدائها فيما بعد وكانت (الاهيا نظوي الأسى طيباً) في عام ١٩٨٣م، وشاركت المعتقلين في تلحين عشرة مقاطع

بالضرورة لكن اكتشفنا وجود ملحنين حقيقيين امثال الرفيق الراحل السر الناطق- من نقابتي البريد والبرق وكان يسكن بالخرطوم بحري- وهو ملحن (مليون سلام يا شعبنا) و (الشعب يا قاطمة حي).. عموماً كان المكان يضح بالمعتقلين الذين يحاولون- برهافتهم - ان يحولو من السجن مكاناً يصلح للعيش.

* ما هي الأعمال التي خرجت من رحم (أعمال المعتقل) وصارت فيما بعد جزءاً من أعمال الكورال؟ الأعمال التي قدمها الكورال في العيد الأربعين هي (وأحلامي) و (مليون سلام يا شعبنا) و (مرحب مرحب بالأعياد) وقد مرت جميع هذه الأعمال ببعض المعالجات الموسيقية، حيث كان أغلبها أقرب للمواويل، وقمنا بتحويلها وإضافة الإيقاع لها وتسريعه لتصبح اغاني خفيفة يمكن سماعها.

* إلى جانب أعمال العيد الأربعين، شهدت الديمقراطية الثالثة انعقاد (ورشة الانتخابات الفنية) بداية كفى جرى الترتيب لها، في عقابيل الإنتفاضة حضر إلى الرفيق الراحل عبد الرحمن عبد الله الذي كنت قد التقينته بالمعتقل، وهو أحد الذين ساعدوني كثيراً جداً وجعلني أرى بطريقة ما علاقتي مع الموسيقي، ودفعني للمضي قدماً ودراسة الموسيقي بالمعهد العالي للموسيقى والمسرح.

وأورد هنا أمراً بالغ الغرابة (أن عبد الرحمن كان في المعتقل بمرافقة آله الكمان حيث كان عازفاً للكمان). وهو من أوائل عازفين أوركسترا الإذاعة والتلفزيون، كما شارك في أداء أغنية (من غير ميعاد) لمحمد وردى. واعد لآقول أنه عبد الرحمن عبد الله جاعني وأخبرني بقيام ورشة موسيقية من أجل الانتخابات وطلب مني المساهمة فيها، وللحق لم أحضر بداية الورشة لكن عرفت لاحقاً من الأستاذ كمال الجزولي بأنها جاءت عقب مناقشة ما بين الأديباء والشعراء والكتاب داخل الحزب وخرجوا بكتابة أشعار لها علاقة بموضوع الانتخابات. لتلحن. والبداية بهذا جاءت من عندنا

حضرت (الأسى طيباً) في عام ١٩٨٣م، وشاركت المعتقلين في تلحين عشرة مقاطع إلى (يا محمد احمد همتك).. (سلاح صوتك).. (يا عازة مشوارك طويل) وقدمت للورشة لحنين (جاهزين) وهما (جنوب وشمال نعيش سوا سوا) و (صوت ضد قانون سينمجر) واعتقد ان ورشة الانتخابات تجربة جديرة بالدراسة والإهتمام.

* تعددت مستويات تقييم تجربة كهذه، لكن ما هي (الجملة) التي خرجت بها الورشة؟ هذه الورشة ضمت من كبار الموسيقيين محمد وردى ومحمد آدم المنصوري والراحل حرقل وشاكر عبد الرحيم وعدد من طلاب المعهد العالي للموسيقى والمسرح (آنذاك) يضم الفحيل عازف الكيبورد وعبد الطيب عبد الغني وخالدة الجنيد وعباس عمر وآخرين. والورشة تجربة غنية جداً، لأن جميع الأعمال التي قدمت في العيد الأربعين أو شريط ١٩٩٠م أو العمل الكورالي والغنائي عموماً، ساهمت الورشة في تثقيبه. وقد أقيمت بدون (أوهام) بمعنى التقاليد التي تقول بان لموسيقى أو الشاعر أو المحن يعمل في ظروف (خاصة) جداً.. كالعزلة أو الوحدة أو غيرها، لكن أن تجيء أعمال بهذه الروعة وتحلق أمام الناس وبمساهمات الشعراء والموسيقيين، كل يضيف (لزمة) موسيقية أو مقطع شعري حتى يخرج العمل في النهاية أخذ شكل وقوام عمل فني (موسيقي) له علاقة

بالانتخابات وبرنامج الحزب الشيوعي ورؤيته، هذه هي الجملة.

* ما مدى تعمق أعمال ورشة الانتخابات في الشارع السوداني؟

وهل اقتصرت على الفنون الصوتية فقط؟! أعمال الانتخابات والعيد الأربعين، شارك فيها مجموعة موفرة بصيغ هذا الحيز عن ذكرها بالتفصيل، من الشيوعيين والديمقراطيين واصدقاء الحزب. وكانت على شقين الجانبي التشكيلي السذي أبعد فيه التشكيليون إيما إبداع، وأعمال الموسيقيين . وجميع هذه الأعمال كان لها مدلولاتها على مستوى الشارع. واذكر عند قدوم الميرغني عقب اتفاقية الميرغني - قرني استقبلت الجماهير الميرغني في المطار في موكب ضخم كان أغلبه من الشيوعيين واليساريين والديمقراطيين وكانوا جميعهم يرددون (جنوب شمال .. نعيش سوا سوا).. ولذلك اعتقد ان هذه الأغاني قد اثرت وحقت جماهيريتها في ذاكرة وجدان الشعب السوداني، وعند ذهاب موكب استقلال الميرغني إلى جنينه السيد على صعد على المنبر الأستاذ سيد أحمد الحسين وقال (تشكر جماهير الحزب الشيوعي). ولا اعتقد ان الحسين يعرف كل جماهير الحزب الشيوعي (!) لكن من نوع الأغنيات في المسيرة كانت تحمل بصمة الشيوعيين وبريقهم.

وعقب ذلك جاء التحضير للعيد الأربعين وشهد حراكاً واسعاً على مستوى الفنون قام به عدد كبير من الموسيقيين والشعراء والتشكيليين، واعتقد ان الكثير من الشعراء الذين سطم نجمهم عقب ١٩٨٥م كانت لهم علاقة أو كانوا بالقرب من الشيوعيين وناضلو معهم وساهموا في منديباتهم قبل الإنتفاضة وبعدها من خلال منابر عمل الشيوعيين مثل حميد والق달 وعادل عبد الرحمن ومحمد محي الدين.

وقمنا بتعمق بالورشة جنبناها بترائنا: أعمال السجن والانتخابات، وقمنا بإضافة بعض المعالجات واضفت بعض الأغاني ك(رزاق الدم) الحان عباس عمر وأقول هنا عقب معرفتنا بغير الرفيق الراحل عبد الرحمن عبد الله الموسيقي الذي يصيف ويعدل من أعمال الآخرين، تعرفنا أكثر على عبد الرحمن عبد الله المحن.. (غني يا خرطوم غني) و (جوزيف) و(أرضاً سلاح) و (حازيك نحنا وديريك) وقد سألته: لماذا لم تلحن من قبل؟ فرد علي: «ما كان اهتمامي». وعيد الرحمن عازف الكمان والموسيقى المحبوب جاءت به آخر انتخابات لاتحاد الفتاتين في الديمقراطية الثالثة سكرتيراً عاماً للاتحاد خلف رئيس الاتحاد محمد عثمان وردى.. وللحق كتلتا فيهو، لأنه كان من الممكن أن تكون لديه مساهمات ضخمة في المجال الموسيقي، وبعدها أضيت (قاسم أمين) التي لحت بواسطة أحمد مكي - طيب بقم حالياً ببولندا- وعلاء الدين إبراهيم الطالب وقتها بالمعهد العالي للموسيقى والمسرح والمقيم حالياً بكندا.

وقد قمنا في الورشة بعمل (كولاج) من اللحنين و (عشرة مقاطع للحياة) التي لحت بالسجن وساعدني عبد الرحمن عبد الله في تسجيلها ووضع المقدمات الموسيقية للمقاطع وقد ساهم في الغناء مجموعة كبيرة من الرفاق أغلبهم خارج السودان حالياً فيما رحل عنا ثلاثة من الرمن عبد المجيد وزينب عبد المجيد (كاتيوشا) ومصطفى سيد أحمد ومن الأصوات النسائية كانت هناك خالدة الجنيد وسهير محبوب وسهير سيد أحمد وسارة زوجة أزهرى عازف الاكورديون وتيسير مصطفى زوجة الخاتم عدلان (الحقا) ود. نعمات خضر وأمال النور وزينب عبد المجيد. ومن الأصوات الجالية كان هناك الراحل مصطفى سيد أحمد وعلاء الدين إبراهيم وأحمد مكي وأحمد مامون والمهندس محمد خيري ومن العازقين الدائميين أذكر عبد الله أحمد عبد الله (عبد الله فلوت) وعبد الرحمن عبد الله وعمر منصور وعمر فتح الله وأزهري اكورديون والصادق شيخ الدين (جيتار) أيضاً كان باقي العازقين من الاصدقاء المتوعين أو أعضاء

هوامش سياسية على حياة وروايات الطيب صالح

الجرائد كل يوم وتسمع الإذاعات وتزور السينما مرة أو مرتين في الأسبوع، إذا مرضت من حقد أن تعالج في المستشفى وإذا كان لك ابن فمن حقد أن يتعلم في المدرسة... (١٥)

يقول ذلك ويضيف في فقرة أخرى على سبيل المقارنة:- «أهل البندر لا ينامون إلا في أخريات الليل، أما نحن فننام حين يسكن الطير ويمتد النداب عن مشاكسة البقر وتتسفر أوراق الشجر على حال واحد وتضم الدجاج اجنتحها على صفحها وترقد الماعز على جنوبها تجتر ما جمعته في يومها من علف. نحن وحيواناتنا سواء بسواء نضحو نحن نضحو وننام حين تنام وانفاسنا تتصاعد بتدبير واحد» (١٦)

ولمخ هذه المقارنة كذلك في حديث ود الرواسي إلى محميد عند عودته متفاعداً في الخرطوم:- «وإذا حامد مسجحة ومبردة في الصيف حرها ما يتقعد وفي الشتاء بردها أجارك الله، المتي وقت لقوح النمر والضبان وقت طلوع المريق فيها الدباب والعقارب والملاريا والدستاريا وحياتها نكد ومشاكلنا قد يسبب الراس سكانها نحن خابريتها زين الولادة بي كواريك والموت بي كواريك» (١٧)

وطالما علق الناس الكثير من الأمال على ذلك الحدث الذي فرحوا به، فكيف ساروا نحو تحقيق تلك الأمال، وبكلمة كيف سارت الأمور من بعد؟

لندع النصوص تتكلم. وهي غالباً ما تتحدث عن تجاربنا منذ اواسط الخمسينات أي منذ طلوع فجر الإستقلال فيواصل ذلك الأب حديثه لصديق ابنه إبان زيارته للقرية:-

«أنت تذكر أنه كان لنا قبل أعوام نواب وأحزاب ووضوءا كبيرة ما كنا نعرف أولها من آخرها» (١٨)

«كانت الأدوية تسوق لنا أحياناً غريبة لتلقيهم على أوابنا كما يلقي موج البحر الحشائش الغريبة. كانوا ينقلون إلينا أثناء الضجة الكبيرة في العاصمة، فدقوتنا يومها أن الحكومة التي طردت الاستعمار قد استبدلت يومها بحكومة أكثر ضجيجاً ونواباً وكنا نسألهم عن الذي غيرها فلا يردون علينا جواباً، وانقضى عامان ونحن لا نعرف شكل الحكومة سوداء هي أو بيضاء رسلها يمرون ببلدنا ولا يبقون فيه ونحن نحمد الله أنه كفأنا مؤونة إستقالهم» (١٩)

وهكذا أصبح نخبة الأمل من الإستقلال الذي ناضلوا في سبيله وبنوا عليه الآمال العريضة. ويبدو أن هذه الخيبة لم تكن فقط على بلدنا ولكنها عمت كل القارة الأفريقية فيحدثنا محمد عن صديقه محبوب وأنه أي محبوب، كان يسوق أن سادة أفريقيا الجسد ملس الوجوه افواههم مثل أفواه الذئاب، لتلتمع في أديمهم ختم من الأحجار المتنبية ونفوح النواصير برائحة العطر في أزدها بيضاء وخرقاء وخضراء من الموهير الضامير والحبرير الغالي تتزلق على أكافهم جلود القطط السامية والأحذية تعكس أضواء التسمعاتات وتصر صريراً على الرخام، لن يسبق محبوب أمومي تدارسوا تسعة أيام مصير التعليم في أفريقيا في قاعة الإستقلال» (٢٠)

ثم يحدثنا محميد عن ذلك الوزير الذي يكثر الحديث عن واقع الشعب وعن النضال ضد تكوين الطبقة البرجوازية ثم يهرب أشهر الصيف من أفريقيا إلى فلته في بحيرة بوكارنو وإن إغضاه وفده بتحدثون بأنه فاسد ومرتني وعن تكوينه لفكرة واحدة من قطرات العرق التي تنضح على جباه المستضعفين أنصاف الفرح في الغابات إلى أن يقول: «هؤلاء قوم لهم لا يظنونهم وفوجهم» (٢١)

ويشخص الظاهر ود الرواسي الفساد في شكله السوداني أكثر وأكثر بقوله :- «ما يجلبوا حيلة يعملوك وزير الجمعيات أو وزير الأجرخانات أو وزير الوابورات أي شيء من جنس النواغوس

محمد يقول: « لم أستطع أن أستوعب تأييده لنظام الجبهة القومية الإسلامية لأنه عرف بالتسامح فهو ليس متطرفاً ولا أعرف كيف استطاع مجاراه هؤلاء الناس». ونجده كذلك يقول: «... الواقع أنني كنت متعباً بعيد الخالق محبوب كسوداني تابعة وبإقامة أحمد إبراهيم كإسائة لكنني لم أكن شوبعياً في يوم من الأيام» (٦)

وفي مناسبة أخرى يكتب عبر صحيفة الصحافة بتاريخ ٢٠٢/٨/٢٠٠٢م عن عبد الخالق محبوب فيقول: -- «ولعل انبع طالب في ذلك الزمان بل في كل الأزمنة كان عبد الخالق محبوب الذي لاقى حقه وبالإغرابة على يد جعفر نميري» (٧)

ثم يواصل حديثه في نفس المقال عن عبد الخالق محبوب فيقول: «لقد كان في السنة الرابعة ونحن في السنة الأولى هادئاً حنياً ولكن كان لعقله ذوي، ولو سارت الأمور سيراً طبيعياً لأصبح أستاذاً في الجامعة في الرياضيات او في العلوم أو في اللغات فلم يكن علم يستعصى عليه»، وعلى أي حال فإن الحديث عن النظام وعجزه وديمقراطية وعدم بيمقراطية وعن الرعماه هو حديث في السياسة وكل كاتب روائي تحده بشكل أو باخر « يصص خبراته الحياتية وآراءه ومعتقداته وموقعه من الصراع الإجتماعي بوضعه داخل الرواية بهذا الشكل أو بذاك» (٩)

وإذا كان الناقد الدكتور مختار عجوية يقرر أن رواية عرس الزين تضحى مرجعا هاماً لا لدارس القصة فقط أو كاتبها ولكن لكل من يريد أن يدرس المجتمع السوداني ويفهم علاقاته وأخلاقه واجناسه (١٠). فأنتي أضيف أن هذا الوصف يمتد ليشمل كل قصص روايات الطيب صالح ومنها موسم الهجرة إلى الشمال وضو البيت وعرس الزين. وتلاحظ أن هنالك فرحا ما يحدث في وقت ما وهذا الفرح قد تشمل الجمعة واستنار أمالاً تتراع على وشك التحقق أو كما يرد في الموسم: «هذه أرض الشعر والمغن وإسام بنتي أمال. سنهدم وسنبني وتضح الشمس ذاتها لإرادتنا وسنهدم الفقر باي وسيلة» (١١).

وقد وردت أكثر من إشارة إلى هذا الفرح في موسم الهجرة إلى الشمال: (نحن هكذا وكل سيارة تمر بنا طالعة أو نازلة تحت حتى اجتمعت قافلة عظيمة، أكثر من مائة رجل طعوا وشربوا وصلوا وسكروا، وصفنا وضربنا الأرض بارجلنا ومحمنا بطولنا واقمنا في قلب الصحراء فرحا لاشيء وأخرج أحد المسافرين صندوق من البيرة وزعها وهو يهتف في صاحة السودان في صحة السودان... وردت الليل أصداء عرس عظيم كصحة قبيل من الجن» (١٢).

وتتردد أصداء نفس الفرح في رواية عرس الزين: «حيث التقى جميع سكان القرية بعد أن هزهم النيا ولم يصدقوه عرب القوز جاءوا بجمالهم وجاء فريق الطلحة من القرى الجاورة وجاءت جوارى الواحة. اجتمعت النقائض تلك الأيام. جوارى الواحة عبت ورفصن تحت سمع الإمام ويده كان المشاق يرتلون القرآن أي بيت والشباب يسكرون في بيت، ومن ثم التفت الزين وفتح عالماً في الهواء فاستقر وسط الدائرة وبلغ ضوء المصابيح في وجهه فكان ما يزال مبتلاً بالدموع، صاح بأعلى صوته ويده مشروره فوق رأس الراقصة انشروا بالخير وفار المكان فقد نثفت فيه الزين طاقة جديدة وكانت الدائرة تنسع وتضيق والأصوات تغطس وتظفو والطول ترعد وتزجر والزين واقف في مكانه في قلب الدائرة بقامة الطويلة فكانه سيد المركب» (١٣)

يلحق د. مختار عجيبة على هذه الفقرة قائلاً: «وبنك يبتئنا القاص للزین برحلة عبر البحار فيسببه بصاري المركب وما على الريح إلا أن تهبط ليمتلي الشراع بالهواء ويندفع المركب ويضق عاب الماء بعد أن التفت الجميع حول الزين (السودان) والباحث علاجوا عيوبه» (١٤).

وفي الحلقة فالشراع أمثال بهواء الإسمال والطلوحات التي ظن الكثيرون أنها على وشك التحقق ومن ذلك ما نلتمس من خلال حديث ذلك الوالد لصديق ابنه القادم من المدينة: «أنت ولا شك يا بني تقرا

رحل الطيب صالح وما يزال الظاهر ود الرواسي يبحث عن إنسان ثاني عندو الرحمة وعندو الفهم

« فجة اختل ذلك التناقس في الكون، وإذا نحن بين عشية وضحاها لا ندري من نحن وما هو موضعنا في الزمان والمكان، وقد خيل إلينا يوماً أن ما وقع قد وقع فحقة، ثم تكشف لنا رويداً رويداً ونحن في ذلك الخضم الملتطم بين الدار والبلقون أن ما حدث مثل سقف البيت حين يسقط لا يكون قد سقط فجة ولكنه يظل يسقط منذ أن يوضع محله أول مرة»

من رواية ضو البيت للطيب صالح. وهكذا يرحل الطيب صالح تجاه قلوبنا ليتوسدها مخلفاً وراه الظاهر ود الرواسي ليواصل البحث عن «إنسان عند الرحمة وعندو الفهم»

سوف نحاول في هذه المساهمة متابعة الظاهر ود الرواسي في بحثه عن الإنسان «العندو الرحمة وعندو الفهم» ورغم أنني لا أزمع لنفسي صفة الناقد إلا ان إعجابي باب الطيب صالح يجعلني مثل كثيرين أعود إليه بين أونة وأخرى.

وبداية أعلن أنني رغم أنه سبق لي أن تناولت هذا الموضوع إلا أن ذلك جاء بعد تردد شديد لأنه من الواضح من عنوان هذه المساهمة أنها أقرب إلى الحديث في السياسة منها إلى النقد الأدبي وذلك حذراً من شبهة الدخول إلى الأدب من بوابة السياسة وما يترتب على ذلك من تعسف الوصول إلى نتائج تناقق إليها المقدمات قسراً ومن فرض آراء ومواقف على كاتبنا العظيم ربما لم يكن قد فكر فيها حين ما كتب ما كتب من روايات وقصص قصيرة.

ولكن ما حيلتنا والروايات والقصص القصيرة نفسها قد تضمنت الكثير من الحديث في السياسة منذ الإستقلال الأمر الذي يسميه صديقنا العزيز محمد عبد الخالق رد الله غرنبته: « عودة شبح المؤلف وتحوله حول أروقة المعنى، وهي عودة مؤرقة لا يسعنا معها ما كانت الدواعي لتجاهلنا إلا متابعة خطواتها تجاه العمل والحفر حوله ومضاهاتها بنذائه» (١)

وبداية أقرر أنني لا أنوي فرض أي ولاء سياسي على كاتبنا العظيم وقد كفاني هوشير ذلك حين قرر قائلاً: «ولائي لوطان في صيرورته الأبدية وما أصعب ذلك من ولاء» (٢)

ومنتظلاً من هذا الولاء يقول عن رواياته: «ولكن هناك قطعاً بعض الأمور التي حاولت مناقشتها من خلال الكتابة»

ثم يقول أيضاً :- « وفي هذا الإطار اعتقد أن لدينا مشكلتين في العالم العربي وهما فكرة إنشاء المدينة والسلطة التي تحكم هذه المدينة» (٣)

ويبدو أن هذه المشكلة قد أرقته كثيراً ففي العديد من مناسبات الكتابة نجده يتناولها بشكل أو باخر فلدى حديثه عن أحد الرعماه السياسيين البارزين في السودان نجده يقول: « وقد حضرت له محاضرة رائعة في دار الثقافة بالخرطوم عام ١٩٦٦م عبر خلالها عن أفكاره بوعي ونضج ووضاحة لسان وبلغه عربية متنبية، وتحدث آنذاك عن المشكلة التي لم نستطع حتى اليوم أن نجد لها حلأ في السودان وهي التراجع بين نظام بيمقراطي عاجز عن الإيجاز ونظام دكتاتوري يعقم الفكر والكتب» (٤)

والطيب صالح العديد من الملاحظات على الرعماه السياسيين في السودان فتحدث على سبيل المثال بصف السيد الصادق المهدي بأنه « مهذب لبق فوضيخ يفيض أدباً، وأنه توجد فيه كثير من صفات الرعيم الكبير المؤثر، لكن بحكم نشأته وتربيته كان بعداً عن واقع الحياة السودانية البسيطة الهينة إضافة لئى أنه لم يخبر تلك الحياة كما ينبغي» (٥)

ونجده كذلك في حديثه عن القطب الإسلامي الأستاذ محمد يوسف



- ١- البسम्म ببها» (٢٢).
- ويواصل الظاهر:-
- «أنت تفكر الحكاية بالكفاءة؟ الموضوع كله اواطنه في أواطنه. المهم تدقي فصيح لسان وقليل إحسان. بس كتر من يحييا ويعيش شوف الحزب القوي ادخل فيهبو...»
- شيء خطب وشيء عوازيم وشيء براطيل. شويتين تلقى نفسك بقيت نائب في البرلمان بعد ده أرقد قفي».. (٢٣)
- ويبدو أن بحث الظاهر ود الرواسي عن «إنسان ثاني عندو الرحمة وعندو الفهم، سيطول حيث سنسرب ما يسمى في بعض الأدبيات بالديمقراطية الجديدة والتي وصلت هي الأخرى إلى طريق مسدود وترتت عليها الكثير من النخطب والهوس الذي تعاني منه اليوم:- «أصله الزمن ده بقى زمن إذاعات وسينمات وجرائين ومدارس واتحادات وهوسة يومتها أسع لك الإذاعة تللع العمال، الفلاحين، الإشتراكية، العالة الإجتماعية، وزيادة الإنتاج، حماية مكاسب الثورة، الإبتهازية الرجعية».
- أي ياخوانا دي مصيبة شئو الوعتت علينادي. إذاعة السجدم دي تتنج اليوم كلو اصلاحي ما بتفتنر. قلت لي حاج سعيد إنت يا حاج سعيد العمال والفلاحين موياهن نحن.
- أنا اخوك إنت هسع نحن إسمنا العمال والفلاحين» (٢٤)
- ويبلغ النخطب أوجه فنج محميد وقد تقاعد قبل بلوغه السن القانونية يقول:- «وقد يساله ود الرواسي عن ذلك ويسقول له:- أخالوتي على التقاعد لأنني لا أصلي الفجر في الجامع.
- يسقول ود الرواسي:- هل هذا جد أم هزاز؟ يسقول محميد:- عندنا في الخرطوم حكومة مندبنة رئيس الوزراء يصلي الفجر خاضراً في الجامع كل يوم وإذا كنت لا تصلي أو تصلي وحكدي في دارك فيستيمونك بعدم الحماس للحكومة. أن تحال للعماش كرم منهم. لن صدقوا أذانهم ويسقولون بصوت واحد أما عجائب» (٢٥).
- أخيراً وعود على بدء بقول الراوي في رواية ضو البيت:- «لا نستطيع أن أتذكر ذلك الضحى إلا وتنتابني شعيرة . كانت البلد كان طافراً رهيماً اقتلعنا من جذورها وحملها بمخلبه ودار بها ثم القاها من شامق. كانت الفوضى كأنها تنفجر من تحت أقدامنا وكان الناس يجرون منتسقين هاشنا وهاشنا يبحنون عن شيء ولا شسء. يبحنون عن المصدر وليس ثمة مصدر.
- هوامش:-
- ١- مجلة كتابات سودانية يونيو ١٩٩٩م، شبح المؤلف يتجول حول المعنى قضية السلطة في بندرشاه بقلم: محمد عبد الخالق
- ٢- ٣، ٤، ٥، ٦: الدرب مع الطيب صالح؛ طلحة جبريل.
- ٨، ٧: صحيفة الصحافة بتاريخ ٢٣/٧/٢٠٠٢م مقال بقلم الطيب صالح .
- ٩- رواية طائر الشوم لفرانسيس ديق بين توظيف الأسطورة واكتشاف الأخر صحيفة الأيام ٢٠/٧/٢٠٠٢م: محمود عبد الجليل- د. شام عثمان
- ١٠- القصة القصيرة في السودان: د. مختار عجوية.
- ١١، ١٢: رواية موسم الهجرة إلى الشمال.
- ١٣: عرس الزين
- ١٤: مختار عجوية، المرجع السابق.
- ١٦، ١٧: دومة ود حامد.
- ١٧: رواية ضو البيت.
- ١٨، ١٩: دومة ود حامد
- ٢٠، ٢١: موسم الهجرة إلى الشمال
- ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥: ضو البيت